

## تحرير الضمير والمشاعر الإنسانية من منظور إسلامي

د. أحمد سعيد عزلم

عضو الهيئة التدريسية - جامعة القدس المفتوحة - جنين - فلسطين

**ملخص:** هذه الدراسة تتناول جوهر الإنسان، وأهم خصيصة تميزه ويفرد بها عن المخلوقات التي نشاهدها على الأرض، وهي المشاعر والضمير الإنساني، والسر الإلهي الذي يخفيه صدره، وما يختص به قلب الإنسان من علم وإرادة، وبه يعرف الهدى من الضلال، وكيف أن الإسلام حرص كل الحرص على تحريره من العبودية والاستسلام لغير الله سبحانه. وأظهر البحث حقيقة الإنسان -الذي منح حرية الاختيار- منذ اللحظة الأولى من خلقه، وشعر أنه عنصر فريد له هدف وغاية في الوجود لا بد من تحقيقها، كما شعر بالإرادة المستقلة باتجاه الغاية والهدف الذي اختير من أجله. وأكد الباحث في بحثه أنه لا مجال لتحرير الإنسان تحريراً يحافظ على إنسانيته، إلا إذا تحرر من عدة جوانب مهمة، تجعله بعدها يشعر بالسلاطة مع نفسه أولاً، ومع من حوله من المخلوقات ثانياً. وخلص في النهاية إلى أن الإسلام والاستسلام للخالق ومعرفته، هو الطريق الوحيد للوصول إلى حرية الإنسان بمعناها الشامل الكامل.

### " Liberation of Conscience and Human Feelings from an Islamic Perspective

**Abstract :** This study deals with the core of the man. The main feature, that distinguishes him from other creatures on the earth, is the feelings, the human conscience, the Divine Key that he has in his chest. Also science and the will that are unique to this heart through which he distinguishes between guidance and misguidance and how the Islam releases him from slavery, but to Allah. Finally, the researcher confirms that capitulation to Creator and to know Him is the way to get to the man's freedom with its complete and comprehensive meaning.

#### المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده.

#### أهمية البحث :

خدعت البشرية بشكل عام، والشعوب الشرقية بشكل خاص بمظاهر الحرية التي رأوها في الحضارة الغربية، وهي وإن كانت إيجابية في بعض جوانبها، إلا أنها لم ترتق إلى تحرير أسمى ما يتميز به البشر عن الحيوان، وهي مشاعره وأحاسيسه الإنسانية. وما يختص به قلب الإنسان من علم وإرادة، والذي من أجله عظم شرفه عند الله.

والدين الصحيح- الذي يقوم على توحيد الله سبحانه - في جميع شئون الحياة ، هو القادر على معالجة هذه النفس، وفك قيودها، وتحريرها من عبوديتها لغير الله، وبدون ذلك سيبقى الإنسان حبيس مشاعر وأحاسيس مغلولة ومقيدة بقيود لا ينفك منها إلا عندما تستقر عقيدة التوحيد- التي جاء بها الإسلام - في نفسه، والتي تحرره من جميع الأغلال، لتنتقل روحه ومشاعره، وليعيش المسلم في ظلها حراً طليقاً، لا تحده حدود، صنعتها الأهواء البشرية والظروف القاسية.

### دوافع البحث

أولاً: يرى الباحث - في هذا الدين- مساحات واسعة وصفحات كثيرة في الكتاب والسنة تبحث أسمى ما في الإنسان وما يتميز به عن الحيوان وتعالجه، وبأساليب وطرق متعددة وسهلة وميسرة، لا تضيق بإنسان مهما اختلفت الأماكن والأزمان.

ثانياً: أن هذا المستوى السامق الذي وصل إليه الإسلام في تحرير الإنسان ومعالجة مشاعره الإنسانية ، لا يمكن أن يصل إليه منهج صنعه البشر بأهوائهم وعقولهم القاصرة المحدودة.

ثالثاً: انطلاقاً من الإيمان الجازم بأن الإنسان لا يمكن تحريره تحريراً كاملاً إلا إذا تحررت مشاعره الداخلية، التي تعتبر النواة والمرتكز الأساسي في إصلاح حركاته وأفعاله ونشاطه الإنساني، وذلك بعد تحرير العقل الذي يعتبر النافذة الأولى للعالم الداخلي والسر المكنون في صدر الإنسان، وبهذا السر صار الإنسان إنساناً.

رابعاً: أراد الباحث في هذه الدراسة إعادة الثقة في نفس المسلم، بأن دينه فيه الشفاء العاجل، والبلسم الشافي للأمراض النفسية التي استعصت على الأطباء، ولا زالت الحيرة تربكهم إزاء الأمراض التي تعترضهم، ولا يجد الكثير من المرضى علاجاً لها إلا الانتحار أو الحياة في شقاء وعذاب.

### منهج البحث:

اختار الباحث في بحثه أن يسير وفق المنهج الوصفي التحليلي، لمناسبته لطبيعة البحث.

### طريقة البحث:

أولاً: اعتمد الباحث في دراسته على المرجعين الأساسيين ( كتاب الله وسنة رسوله )، وما توفر لديه من مراجع مهمة ساعدت في تأصيل هذا البحث.

ثانياً: حاول الباحث - قدر المستطاع - عدم الاستطراد والبعد عن جوهر الموضوع، إلا ما اقتضته طبيعة البحث وضرورة الإسهاب في بعض المواضع.

تحرير الضمير والمشاعر الإنسانية من منظور إسلامي

**ثالثاً:** أما منهج توثيق المراجع والمصادر، فيذكر المرجع أو المصدر، والمؤلف والصفحة في الحاشية، وبقيّة المعلومات، كدار النشر والناشر والطبعة، عند ذكر المرجع لأول مرة، ثم بعدها يقتصر على المرجع والصفحة والمؤلف، باستثناء الآيات القرآنية التي ذكر تخريجها مباشرة، بعد نهاية كل آية.

#### **خطة البحث:**

وقد قسم البحث إلى مقدمة، وتعريفات لغوية واصطلاحية. ومدخل إلى البحث، ومبحثين أساسيين، وخاتمة مع النتائج، والتوصيات.

**المبحث الأول:** حرية الاختيار، وأثره على النفس البشرية.

**المبحث الثاني:** الشعور بالسلام مع النفس، وتحررها من الاضطرابات النفسية.

وقد اشتمل هذا المبحث على عدة جوانب مهمة لتحرير الإنسان في حياته.

أولاً: تحرير النفس من شبح الخوف على الرزق والأجل.

ثانياً: التحرر من الذل.

ثالثاً: التحرر من عبادة المال.

رابعاً: التحرر من الشهوات.

هذا فإن أحسنت فمن الله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان.

#### **تعريفات:**

**المسألة الأولى:** تعريف (الضمير) لغة واصطلاحاً.

تعريفه لغة

**الضمير:** هو السر وداخل خاطر والجمع (الضمائر). والضمير: الشيء الذي تضمه في قلبك، وأضمرت الشيء أي أخفيته. وأضمرته الأرض، أي غيبته بموت أو بسفر. (1) وفي غريب الشرح الكبير: (ضمير الإنسان: قلبه وباطنه، والجمع ضمائر، على التشبيه بسريه وسرائر، وأضمر في ضميره شيئاً: أي عزم عليه بقلبه). (2)

### تعريفه اصطلاحاً

الضمير اصطلاحاً: ويسمى "الوجدان"؛ وهو وصف لكلمة تُجسد كثلة ومجموعة من المشاعر والأحاسيس والمبادئ والقيم تحكم الإنسان وتأسره، ليكون سلوكه جيداً محترماً مع الآخرين يحس بهم ويحافظ على مشاعرهم، ولا يظلمهم ويراعي حقوقهم. إنه باختصار شديد: ميزان الحس والوعي عند الإنسان لتمييز الصح من الخطأ مع ضبط النفس لعمل الصح والبعد عن الخطأ. (3) وعند الفلاسفة والمتصوفة: الضمير: هو استعداد نفسي لإدراك الخبيث والطيب من الأعمال والأقوال والأفكار والتفرقة بينها. واستحسان الحسن واستقباح القبيح منها، ويكون أساساً لقبول أو رفض ما يعمل الفرد أو ما ينوي القيام به. والضمير المهني: ما يديه الإنسان من استقامة وعناية وحرص ودقة في قيامه بواجبات مهنته.

وتأنيب الضمير وعذاب الضمير ووخز الضمير: هو ما يحسه الفرد من عذاب أو ندم أو اتهام لذاته بارتكاب غلطة أو خطأ، نتيجة سلوك قام به. والضمير العالمي: وجود مشاعر في نفوس البشرية جمعاء تهتدي إلى مبادئ الأخلاق بعفوية وتلقائية، وتقف إلى جانب المظلومين والمستضعفين. (4)

### المسألة الثانية: تعريف المشاعر لغة واصطلاحاً

#### التعريف اللغوي

المشاعر لغة: هي الحواس، والحواس هي المشاعر الخمس (السمع، البصر، الشم، الذوق، واللمس). يقول الشاعر:

والرأس مرتفع فيه مشاعره يهدي السبيل له سمع وعينان

ويقال: أشعر الهم قلبي، أي لثق به كلزوق الشعار من الثياب بالجسد، وأشعر الرجل همماً. (5)

ولا يشعر الإنسان بشيء إلا عبر هذه البوابات الخمس، فهي تعتبر المدخل إلى النفس البشرية.

ومن خلالها يخاف وبطمئن، ويفرح وبحزن، ويكي ويضحك ... (6)

### التعريف الاصطلاحي

المشاعر أو الشعور: (هو علاقة الإنسان بالعالم المحيط والناس الذين يعيش معهم، وصلته بالأشياء والمواد وألوانها وأصواتها ورائحتها وشكلها، فهي أمور تلاقي في داخلنا صدى قوياً من الانفعالات التي نعيشها. فالمشاعر والانفعالات هي بمثابة البواعث لما نقوم به من تصرفات). (7)

والبعض يعرف المشاعر بأنها هي التي (تمنح ذات الإنسان ملامحها وتشكيلاتها الخاصة والمميزة، والتي تتجسد في عواطفه وأحاسيسه وانطباعاته وأفكاره ونظراته وتفلسفاته، وحتى في توجساته وهواجسه، وتحدد المشاعر بطريقة أو بأخرى ملامح وتفصيل وجوده التفاعلي في الحياة، وبالتالي هي التي تمنحه صفة الإنسانية وماهيته، وتشكيلاته المسلكية وطريقته وأسلوبه في التعامل مع ذاته ومع الأشياء ومع الآخرين من حوله). (8)

### مدخل إلى البحث:

كثير من المصلحين ودعاة التحرير في التاريخ البشري، - الذين أفنوا حياتهم في سبيل النهوض بأقوامهم ومجتمعاتهم، للسير بها قدماً نحو التحضر والرقى البشري،- يعمدون إلى طريق هي أشبه بمن يصلح جدران بيت خرب ويحاول حماية سقفه من الانهيار، بينما قواعده متداعية آيلة إلى السقوط. فمهما بذل من جهد، لا يمكن أن يقيم أوده، ولا يستقر البيت بأكمله- الذي يظهر فيه التشقق، فترة بعد فترة، كلما أصلح جانباً منه ظهر الفساد فيه من جانب آخر، وهكذا ... فلا يمكن أن يستقر البيت على هذا الحال إلا أن يبدأ الإصلاح من القواعد والأساس.

وكل من لم يبدأ - وهو يسير نحو تحرير البشر - من الضمير والمشاعر الإنسانية، وما يختص به قلب الإنسان من علم وإرادة (9) فلن يصل إلى بغيته وهدفه، ما دام البشر بشراً، وما دامت الأرض أرضاً (10).

والسبب في ذلك بسيط، وهو أن الإنسان تميز بخصائص استقل بها عن محيطه من المخلوقات، ورقى الإنسان وتحضره يبدأ من المحافظة على هذه الخصائص والميزات، التي منحها له الخالق سبحانه.

وحديث النبي صلى الله عليه وسلم واضح في هذا الصدد، حيث يقول: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" (11). والقلب وعاء الضمير والمشاعر والأحاسيس البشرية، وهو كما يقول الغزالي: "إعلم أن محل العلم هو القلب، أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح، وهي المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء، وهو ما اختص به قلب الإنسان، ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى، وهو راجع إلى علم وإرادة، أما العلم فهو

العلم بالأمر والحقائق العقلية، فإن هذه أمور وراء المحسوسات، ولا يشاركه فيها الحيوانات، وأما الإرادة فهو ما ينبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها، وذلك غير إرادة الشهوة ورغبات وإحساس الحيوانات" (12).

وهذا ما يميز الإنسان، ويجعله منفرداً ذات خصائص عجيبة، ولم يستطع العلم الحديث - رغم ما وصل إليه من تقدم بارع - أن يكشف كنه الإنسان وأسراره، ولا زال يحبو نحو علم النفس والعقل والقلب والروح كحاطب ليل، لم يعلم عنها إلا القليل.

ومن هنا فإن "النشاط الإنساني يتحدد بعقله وعواطفه، فالعقل يتحكم بتصرفات الفرد ويوجهها، ويقود صاحبه في الطريق الصحيح، ويشرف على تنسيق أفكاره، ويساعده على مقارنة سلوكه بالمقاييس الأخلاقية والتقاليد الاجتماعية السائدة.

أما العواطف فإنها غالباً ما توقعنا في الحيرة والتردد، وتحرفنا عن طريق الصواب وتجعل تصرفاتنا متناقضة... فنحن نقلق ونكره ونخاف ونخجل ونتمتع ونعاني، إلى غير ذلك من مشاعر إنسانية لا تحصى....، فالشعور يسيطر أحياناً على كياننا كلياً، بحيث لا يعود بإمكاننا التخلص منه حتى ولو لجأنا إلى قوة الوعي والعقل، ويمكن للعواطف في بعض الحالات أن تتحكم بسلوك الإنسان بصورة مستبدة... إلا أن الإنسان من خلال تربيته في المجتمع، يصبح متمكناً من السيطرة على انفعالاته وكبح جميع مظاهرها الزائدة، لذلك فالمشاعر الإنسانية أغنى وأعقد وأكثر تنوعاً من الانفعالات الحيوانية" (13).

وعندما جاء هذا الدين أعلن أنه جاء لتحرير الإنسان - جنس الإنسان، في الأرض كل الأرض -، ليحرره من القيود والمشاعر السلبية، التي تسلب الإنسان حريته وإرادته، وتهده بتدمير طاقاته. فبدأ بمعالجة مركز النفس البشرية التي تشتمل على المشاعر الإنسانية وخصائصها المستقلة، فعرض عليها العقيدة عرضاً هادئاً دون عنف أو إكراه أو مراوغة؛ بل بكل وضوح وبساطة وحرية مطلقة؛ لأن "العقيدة تمثل الجذور لشجرة هذا الدين، وما لم تكن الجذور ضاربة في أعماق الأرض، فإنها لن تحمل فروع هذه الشجرة الضخمة الباسقة. والعمل الصالح لا بد له من إيمان متمكن في جوانب النفس وأغوارها وأعماق الفؤاد ومسارب الضمير. والعقيدة تمثل الأساس للبناء والعمارة الضخمة، التي لا بد لها من أساس مكين وقاعدة صلبة، حتى يستقر فوقها البناء، ومن هنا لا بد من بناء الأساس قبل الشروع برفع البناء، وإلا فسينهار البناء كله" (14).

تحرير الضمير والمشاعر الإنسانية من منظور إسلامي

ومن هنا كان السر في طول الفترة المكية ، التي قضاها المسلمون في مكة ، وبقي القرآن لا يعالج إلا قضايا العقيدة وتثبيتها في النفوس ، وتأخر نزول النصوص التشريعية حتى الهجرة إلى المدينة . وذلك من أجل صفاء النفوس ، وتحررها من أي ارتباط غير رابط العقيدة.

"والإسلام هو دين التحرير الذي يبعد الناس عن عبادة الناس أو مصالحهم وأهوائهم إلى عبادة الله وحده، إنه ثورة على العبودية والظلم والاستعباد، من أجل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة؛ ولكن حتى يصل الإنسان إلى هذه النتيجة، له حرية التفكير والتعقل والاختيار، وحرية فحص المعلومات التي بين يديه، وله أن يقرر فيما إذا كانت هذه العقيدة تخرجه من الطوق الذي هو فيه إلى عالم الحرية" (15). "ولا يتم هذا إلا إذا رفع الإكراه عن الإنسان وترك حق الاختيار له، ليعتق بمحض إرادته ما يشاء من الدين، وكيف حياته وفقاً لتعاليمه وشرائعه.

وهذه الحرية الدينية ثمرة وضرورة للاعتراف باختلاف الدين وتعدد الأديان. فمقتضى هذا الاعتراف: أن يكون لكل امرئ دينه الذي اعتقه وآمن به مختاراً، سواء آمن به عن طريق النظر والبحث والتفكير والبحث والافتتاح- وهذا واجب كل عاقل- أم كان إيمانه عن طريق التلقين في الصغر وتقليد الأبناء للأباء ... ولا شك أن هذا النوع من الإيمان نعى عليه الإسلام، وطلب من الإنسان التفكير واستعمال العقل بدلاً من التقليد، قال تعالى: (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) الزخرف: 22" (16)، وبهذا قرر الإسلام الحرية الدينية الحقة، وأرسى دعائمها، ودافع عنها، حتى رأينا أول نص قرآني شرع القتال للمسلمين، جعل من أهدافه: الدفاع عن حرية الأديان جميعاً، فهو يقاوم دفاعاً عن معابد اليهود والنصارى -من الصوامع والبيع والصلوات- كما يدافع عن مساجد المسلمين" (17). ولا يقبل الإسلام على الإطلاق الإيمان القسري الذي يقوم على الإكراه، قال تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة: 256، بل أطلق العنان للفكر ليعتقد ويتدبر في آيات كثيرة وواضحة الدلالة كل الوضوح فيها، (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) الروم: 8، (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) سبأ: 46، (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات: 21، (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار) آل عمران: 190.

والعقل هو المدخل والمنفذ للمشاعر والضمير الإنساني، وما يدخل فيه هو الذي ينشئ القيم ويقوم الضمير، ويهذب المشاعر ويوجهها الوجهة السليمة، ويحفظها من الاندفاعات والتطرف.

ذلك "لأن التفكير المنهجي نشاط عقلي هادف مرن، يتصرف بشكل منظم في محاولة حل المشكلات وتفسير الظواهر المختلفة والتنبؤ بها، أو الحكم عليها باستخدام منهج معين يتناول

بالملاحظة الدقيقة والتحليل والمسائل، ويخضعها للتجريب في محاولة للوصول إلى القوانين والنظريات، أي الحلول الثابتة" (18).

ولا داعي للإسهاب في موضوع الفكر والعقل ودور الإسلام في تحريره، حتى لو كان هو المنفذ للنفس البشرية، فهو موضوع قد فرغ منه، وقتل بحثاً من العلماء قديماً وحديثاً (19). والسبب الثاني (20). - الذي يلزم المصلحين والدعاة أن يبدأوا به من تربية المشاعر البشرية وتقويم الضمير الإنساني - هو أن الإسلام يراعي الفطرة البشرية أثناء تكليفها بالعبادات والشعائر التعبدية، "ويواجه الفطرة ويحسب لها حسابها. فلا ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطري بكرهية وثقل بعض الأوامر والعبادات والتشريعات، ولا يماري فيها ولا يصادمها، ولا يحرم عليها المشاعر الفطرية الإنسانية التي خلقت في طبيعته، والتي لا سبيل إلى إنكارها أصلاً. كما أنه لا يريد لها الأمر الصعب بمجرد التكليف، ولكن مريباً لها على الطاعة والامتثال، ومفسحاً لها المجال لتبذل الذي هو أدنى في سبيل الذي هو خير، ولترتفع على ذاتها متطوعة لا مجردة، ولتحسب الرحمة والفضل الإلهي الذي يعرف مواضعها، ويعترف بمشقة ما كتب لها، فيعزرها ويقدرها، ويحدو لها بالتسامي والتطلع والرجاء.

وهكذا يربي الإسلام الفطرة، فلا تمل التكليف ولا تجزع عند الصدمة الأولى، ولا تخور عند المشقة البادية، ولا تخجل وتتهاوى عند انكشاف ضعفها أمام الشدة، ولكن تثبت وهي تعلم أن الله يعزرها ويمدها بعونه ويقويها، وتصمم على المضي في وجه المحنة، فقد يكمن الخير بعد الضر، واليسر بعد العسر، والراحة الكبرى بعد الضنى والعناء، ولا تتهالك على ما تحب وتلتذ، فقد تكون الحسرة كامنة وراء المتعة، وقد يكون المكروه مختبئاً خلف المحبوب، وقد يكون الهلاك مترتباً وراء المطمع البراق. فهو منهج في التربية عجيب، منهج بسيط، يعرف طريقه إلى مسارب النفس الإنسانية وحناياها ودروبها الكثيرة، بالحق والصدق لا بالإيحاء الكاذب، والتمويه الخادع" (21).

#### المبحث الأول: حرية الاختيار، وأثره على النفس البشرية.

عندما توجهت الإرادة الإلهية لخلق آدم - لحكمة عظيمة يعلمها الله سبحانه - بين للملائكة الكرام وظيفة هذا المخلوق الجديد، فقال: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة: 30، فحدد الغاية من خلق الإنسان قبل خلقه، ثم أمر الملائكة بالسجود له بعد خلقه، فكان تكريماً آخر بعد تكريم، (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) البقرة: 34. وبدأ التكليف مباشرة لآدم وحواء (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) البقرة: 35.



تحرير الضمير والمشاعر الإنسانية من منظور إسلامي

وبهذا كانت "حرية الاختيار ملازمة لخلق الإنسان والنفس، ولسعي الإنسان في الحياة الدنيا، إنها ركن أساسي في الثواب والعقاب، لقد منحنا الله سبحانه القدرة على الاختيار، وبالتالي منحنا حق الاختيار. فالحق ممنوح بملازمته للخلق، وتحديد المسؤولية والالتزام والحساب يوم القيامة، وكل من يحرم الإنسان هذا الحق أو يمنعه عنه يتعدى حدود الله، ومن يتعد حدود الله ظالم نفسه، لأنه أوقع نفسه في معصية سيحاسب عليها.

وحرية الاختيار هذه شاملة، حيث تشمل (الإيمان والكفر، والنشاط والكسل، والقول والصمت، القعود والحركة، التوكل والتواكل...) بدون اعتداء على الآخرين أو سلبهم حرياتهم وحقوقهم. فميز الله الإنسان بقدرة التمييز، وألزمه بحرية الاختيار.

وآدم عندما خالف الأمر الإلهي وأكل مع زوجته من الشجرة، غافلين عن التحذير الإلهي، كان التصرف حسب حريتهما وقدرتهما على التعليم. قال تعالى: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)، وقال لآدم محذراً من إبليس: (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) طه: 117. ولكن الذي حصل أن آدم اختار طريقاً آخر (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وعصى آدم ربه فغوى) طه: 122، فأخرج الله سبحانه آدم، وانطلق إلى عالم الاختيار، وإلى السلوك الإنساني، ضمن حدود العقل الذي منحه الله للإنسان. وبهذا اختلف الإنسان عن الحيوان (22) !!!... وبالإضافة إلى العقل هنا قوى أخرى تعمل في الإنسان وتؤثر على أوضاعه، مثل المشاعر والعواطف، وعليه أن يحكم عقله بها، حتى الذين يتجاوزون القوى التي منحهم الله ويعطلونها يعاقبون يوم القيامة (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون) الأعراف: 179.

وهكذا نرى بدون حرية الاختيار تنتفي المسؤولية والالتزام، وتنتفي التقوى، وتنتفي القدرة التمييزية، وإن بقي تفكر وتعقل فهما نظريان رومنسيان بدون واقع عملي، وتنتفي قوى النفس المتمثلة بالسمع والأبصار والأفتدة، وما يصاحبهما من تفاعل إنساني، وتنتفي أيضاً المفارقة بين المسلم وغير المسلم، وينتفي الثواب والعقاب" (23).

وشتان بين الفكر الإسلامي الصحيح الذي يمنح الإنسان شعور بالقيمة البشرية، فيشعر بأنه مختار في الحياة الدنيا، له إرادته المستقلة، ويستطيع أن يحدد الصواب من الخطأ، والخير من

النشر، وما يصلحه وما يفسده، ويستطيع أن يسير بمحض إرادته المستقلة باتجاه الغاية والهدف الذي اختاره، دون إكراه ولا إجبار ولا قدر مفروض عليه، بلا أي مشيئة منه ولا اختيار.

شئان بين هذا الفكر الإيجابي، وبين الفكر المنحرف الضال السلبي الذي يجعل الإنسان في قوالب قدرية، ويسلب منه قدرته على الاختيار والمشيئة، ويجعل عمله وحركته في الحياة كحركات المرتعش اللإرادية. وهذا الفكر يدفع باتجاه تحكم الطغاة بالبشر، ومحاولة السيطرة على مشاعر الإنسان الداخلية والعبث في خصائص الإنسان، وتحت تعرضه للضغوط النفسية والتضليل يصبح كائناً تابعاً لهم بكلية، لا حول له ولا رأي، فيحب ما يحبون، ويبغض ما يبغضون، ويتبنى الرأي الذي يريدون، فيعبثوا بمشاعره وأحاسيسه وضميره، ويسلبوا منه إنسانيته. وكل ذلك تحت ستار الجبرية في القدر، وعلى الإنسان الصبر على قدر الله حسب زعمهم.

إن منح الإنسان حرية الاختيار وتحرره من القيود والمشاعر السلبية- التي تسلب الإنسان حريته وإرادته- كرامة ربانية لا تدانيها كرامة إلا كرامة الصلة الروحية بين هذا المخلوق الضعيف الهزيل وبين خالقه العظيم، ولا شك أنه يتناسق تماماً مع طبيعته المخلوقة، وكما يقول ابن خلدون في مقدمته: "الإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له" (24).

وكما أنه أعظم تكريم للإنسان "حين حمله الأمانة ونفى الجبر عنه، وأعطاه الحرية الكاملة (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) الأحزاب: 72.

وبهذا تحمل الإنسان مسئوليته بنفسه كاملة وهو مسئول عنها، ويكمن فيها عنصر التكليف، لحمايتها وصيانتها وتكريمها، كفرد وأسرّة ومجتمع، وبهذا التكريم يكون الإنسان قيماً على نفسه، محتملاً تبعاً اتجاهه وعمله، وهذه هي الصفة الأولى التي كان بها الإنسان إنساناً: حرية الاتجاه، وفردية التبعية، وبهذه الحرية استخلف في العمل، ومن العدل أن يلقي جزاء اتجاهه وثمرة عمله في دار الحساب" (25).

ومن أبرز إحياءات قصة آدم وحواء التي وردت في القرآن الكريم "هو القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان ولدوره في الأرض. وتتبدى القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان في الإعلان العلوي الجليل في الملائكة الأعلى الكريم، أنه مخلوق ليكون خليفة في الأرض، كما تتبدى في أمر الملائكة بالسجود له، وفي طرد إبليس الذي استكبر وأبى، وفي رعاية الله له أولاً وأخيراً.

ومن هذه النظرة للإنسان تنبثق جملة اعتبارات ذات قيمة كبيرة في عالم التصور، وفي عالم الواقع على السواء. وأول اعتبار من هذه الاعتبارات هو أن الإنسان سيد الأرض، ومن أجله خلق كل شيء فيها. فهو إذن أعز وأكرم وأعلى من كل شيء مادي، ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعاً. ولا يجوز إذن أن يستعبد أو يستذل لقاء توفير قيمة مادية أو شيء مادي، ولا يجوز أن يعتدى على أي مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة، ولا أن تهدر أية قيمة من قيمه لقاء تحقيق أي مكسب مادي، أو إنتاج أي شيء مادي، أو تكثير أي عنصر مادي. فهذه الماديات كلها مخلوقة من أجله. من أجل تحقيق إنسانيته، من أجل تقرير وجوده الإنساني. فلا يجوز أن يكون ثمنها هو سلب قيمة من قيمة الإنسانية، أو نقص مقوم من مقومات كرامته.

والاعتبار الثاني: هو أن دور الإنسان في الأرض هو الدور الأول. فهو الذي يغير ويبدل في أشكالها وفي ارتباطاتها، وهو الذي يقود اتجاهاتها ورحلاتها، وليست وسائل الإنتاج ولا توزيع الإنتاج هي التي تقود الإنسان وراءها ذليلاً سلبياً كما تصوره المذاهب المادية، التي تحقر من دور الإنسان وتصغر، بقدر ما تعظم في دور الآلة وتكبر...، وما من شك أن كلا من نظرة الإسلام هذه ونظرة المادية للإنسان تؤثر في طبيعة النظام الذي نقيمه هذه وتلك للإنسان، وطبيعة احترام المقومات الإنسانية أو إهدارها، وطبيعة تكريم الإنسان أو تحقيره، وليس ما نراه في العالم المادي من إهدار كل حريات الإنسان وحرماته ومقوماته في سبيل توفير الإنتاج المادي وتكثيره، إلا أثراً من آثار تلك النظرة إلى حقيقة الإنسان، وحقيقة دوره في هذه الأرض.

والاعتبار الثالث- الذي ينشأ عن نظرة الإسلام الرفيعة إلى حقيقة الإنسان ووظيفته-، إعلاء القيم الأدبية في وزنه وتقديره، وإعلاء قيمة الفضائل الخلقية، وتكبير قيمة الإيمان والصلاح والإخلاص في حياته. فهذه هي القيم التي يقوم عليه عهد استخلافه. بخلاف ما توحيه المذاهب المادية من استهزاء بكل القيم الروحية، وإهدار لكل القيم الأدبية، في سبيل الاهتمام بالإنسان والسلع ومطالب البطون والحيوان.

وفي التصور الإسلامي إعلاء من شأن الإرادة في الإنسان، فهي مناط العهد مع الله، وهي مناط التكليف والجزاء... وفي هذا مظهر من مظاهر التكريم لا شك فيه، يضاف إلى عناصر التكريم الأخرى" (26).

ومن هنا نجد الفرق واضحاً وشاسعاً بين اهتمام الإسلام بمشاعر الإنسان، وتربية الضمير الإنساني، وبين إهمال الماديين لهذه المشاعر والقيم الإنسانية، وبالتالي نجد الانهيار الواضح في عالم القيم والمشاعر الإنسانية، ويكاد الضمير الإنساني لا يجد له مكاناً في هذه المجتمعات إلا قليلاً.

"والخلافة التي حددت للإنسان في الأرض، هي الخلافة بمعناها الشامل الواسع، وذلك لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام، وتقتضي ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض.

ومن هنا يتجلى معنى الخلافة التي هي غاية الوجود الإنساني (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات: 56، ويأخذ أبعاداً أوسع وأشمل من مجرد الشعائر، وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً، وأن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسيين:

الأول: استقرار معنى العبودية لله في النفس، أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً ورباً، عبداً يعبد ورباً يعبد، وأن ليس وراء ذلك شيء، وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار.

الثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة، التوجه بها إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر، ومن كل معنى غير معنى التعبّد لله ... عندئذ يعيش الإنسان في هذه الأرض شاعراً أنه هنا للقيام بوظيفة من قبل الله سبحانه، جاء لينهض بها فترة، طاعة لله وعبادة له ... وجزءها الذي يجده في نفسه من طمأنينة، ورضى عن وضعه وعمله، ومن أنس يرضى الله عنه، ورعاية له، ثم يجده في الآخرة تكريماً ونعيماً وفضلاً عظيماً. وعندئذ يكون قد فر إلى الله حقاً، يكون قد فر من أوهاق هذه الأرض وجوانبها المعوقة ومغرياتها. ويكون قد تحرر بهذا الفرار، تحرراً حقيقياً من الأوهاق والأثقال، وخلص لله، واستقر في الوضع الكوني الأصيل، عبداً لله" (27).

ومن مقتضيات استقرار معنى العبودية في ضمير المسلم، رفض كل أنواع الرياء والمجاملة الكاذبة عن النفس والقلب، فلا تعنيه النتائج بقدر ما يعنيه تحقيق العبودية وإرضاء ربه المعبود. وما من رياء إلا ويكون من وراء ريائه دافعاً يريد منه تحقيق مكاسب ونتائج مادية أو معنوية لصالحه. ففي استقرار معنى العبودية في النفس يصبح الإنسان ظاهراً كباطنه، وربما يصل بعض الصالحين - الذين اصطفاهم الله ورعاهم على عينه - أن يكون باطنه خير من ظاهره، لتعلق قلبه بمعبوده تعلقاً لا ينفك عن مراد الله وتوجهاته أمراً أو نهياً.

وينشأ عن هذا المقتضى الاستعلاء على هوى النفس، ومتى استعلى الإنسان على هواه، فقد بلغ قمة الحضارة في عالم النفس، لأن سبب الفساد في الأرض اتباع الهوى بغير هدى من الله سبحانه (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) القصص: 50 "ولكل إنسان هوى يختلف عن هوى الآخر نوع اختلاف، فلو أعطي كل إنسان على هواه لخرب الوجود، بما فيه. فمثلاً حب السيطرة كامن في كل نفس، فلو أعطي لكل إنسان ما ينفذ به هذا الجانب من الهوى ماذا سيحدث!!؟

وهذا جزء بسيط من الهوى، فكيف بكل أنواع الأهواء إذا انطلقت من عقالها، والله عز وجل أنزل كتابه ليقيّد أهواء البشر في القيود العادلة، ومن ثم كان السير في غير صراطه فساداً وإفساداً، لأنه اتباع الهوى الأرعن المختل" (28).

(والهوى: ميل النفس إلى الشهوة، والحق عكس الهوى، والهوى يلازمه الضلال (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) سورة ص: 6، فكما أن الحق يلازمه العدل، فكذلك الهوى يلازمه الظلم ويجانب العدل، وقد يتعاطم الهوى في النفس، حتى لا يعصيه صاحبه في منكر يراه، ولا يطيعه في معروف يستيقنه، فيصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً) الفرقان: 43 (29).

وعندما يتخلص الإنسان من عبودية الهوى إثر استجابته لكلمات الله وأوامره ونهيه، فيخالف النفس والهوى ويستعلي على الرغبات والميول النابعة من هوى النفس، يبلغ حينها إلى مستوى من التحضر والرقى ما يمكنه أن يكون خليفة الله في أرضه، ويحقق المقصد الإلهي من وجوده على الأرض، ويكون أميناً على الحياة، فيتحرر من عبودية الهوى التي يغرق في حلها أكثر البشر، ومن عبودية المخلوق التي تظهر أحياناً في صورة الطاعة العمياء، وأحياناً في صورة الرياء والنفاق، وفي ذلك تحرير للنفس والقلب والروح. وهذا أعلى مستوى من النمو يمكن أن يصل إليه الإنسان في الحياة الدنيا.

#### المبحث الثاني: الشعور بالسلام مع النفس، وتحررها من الاضطرابات النفسية.

يعيش الإنسان في الحياة في مجال من الانفعال والأفعال والتصرفات البشرية الطبيعية، ورد فعل لهذا الأفعال "بيد أن هذه الانفعالات لا تعيش في نفس الإنسان بصورة مستقلة، وإنما تشترك في تركيب مشاعره المعقدة والثابتة. ويشمل مجال الانفعالات النفسية الإنسانية ظاهرة الاضطراب والتوتر النفسي، وهو رد الفعل الاستثنائي غير الطبيعي للجسم على الأمر الذي يطلب منه.

وقد علق (هانس سيليه) -مؤسس نظرية الاضطراب النفسي- على هذا التعريف بقوله: إن جسمنا يقوم برد فعل طبيعي مميز له على كل أمر يطلب منه. فيما أننا تناولنا طعاماً مالحاً، لذا نشرب الماء بكثرة، من أجل طرح الجزء الزائد من الملح الذي تناولناه. وعند البرد القاسي ترتجف أوصالنا وتتضيق أوعيتنا الدموية، كما ينقص مقدار الإشعاع الحراري للجسم، أما في الحر فنتعرق بكثرة، وهذا التعرق يحمينا من حرارة الشمس الزائدة، وكل ذلك يأتي كرد فعل طبيعي للجسم على المؤثرات الخارجية، ولكن عند مواجهة الحالات العصبية والخطر المحدق، ولدى الإرهاق الجسدي

والنفسى، أو في لحظة توجب اتخاذ القرارات السريعة وبالغة الأهمية تتولد لدى الإنسان ردود فعل استثنائية غير عادية تهدف لحماية النفس مما يحيق بها من خطر، ونتيجة ذلك يكرس الجسم كافة طاقاته للرد على هذه المؤثرات الخارجية الخارقة، وتؤدي حالة الاضطراب والتوتر النفسى إلى ظهور تغيرات واسعة في عمل القلب والأوعية والجهاز التنفسي، كما تسبب انقلابات في التركيب البيوكيميائي للدم، وتغير الناقلية الكهربائية للجلد، عدا ذلك فيظهر اختلال واضح في سلوك الإنسان ... وتلاحظ بشكل خاص صعوبة كبيرة في تبديل الأمور التي يتركز عليها وفي توزيعه بصورة سليمة، وتظهر إمكانية الخطأ في استيعاب المؤثرات الخارجية، وحفظ المعلومات في الذاكرة ... قال (هانس سيلسيه): إن التحرير الكامل من الاضطراب النفسى يعني الفناء، إذ لا يتوجب علينا ولا نستطيع بالأصل التهرب من هذه الحالة ... وهذا راجع إلى تغيرات في مزاج الإنسان، لأن المزاج: هو حالة انفعالية تلون النشاط النفسى للإنسان إيجابية أو سلبية، وينشأ عن المزاج غالباً نتيجة لتأثير انفعال معين، فعندما نتلقى خبراً ساراً، نحافظ على مزاج رائق، طيلة أيام عدة، فنحتفظ بالابتسامة، حتى لو تلقينا صدمة عفوية أثناء ركوبنا للحافلة، ونؤنس ولدنا لحصوله على علامة سيئة بصورة أقل عنفاً من المعتاد، وننجز عملنا بشكل أفضل وأسرع، أما إذا حلت بنا الكآبة أو سيطر علينا الغضب، فنضيق ذرعاً بكل شيء ونتشاجر مع الآخرين لأنفة الأسباب، وبالتالي فالمزاج يأتي دوماً نتيجة لأسباب محدودة قد تكون واضحة أو خفية" (30).

وهكذا نجد الإنسان بطبعه أسيراً للمؤثرات النفسية الخارجية، فهو بحاجة لا محالة إلى وسيلة للتحرر من الآثار السلبية لهذه المؤثرات، أو التخفيف منها على الأقل. وكل الوسائل التي سلكها العقلاء والمتخصصون في الجانب النفسى لم تحل هذه المشكلة، حلاً جذرياً أو ناجحاً كما فعل الإيمان بالله والالتزام بالدين السماوي الصحيح. ونحن لا نرى على وجه الأرض ديناً صحيحاً سليماً من العبث والتغيير إلا الدين الإسلامى بحفظ الله له، بصفته آخر الرسالات السماوية إلى أهل الأرض. والإيمان بالعقائد الواردة في القرآن الكريم، والاستسلام لله سبحانه كاف لصناعة نفس بشرية سوية، ذات شخصية مستقرة، سليمة من الاضطرابات النفسية والمشاعر السلبية، متحررة من آثار الضغوط الخارجية والظروف القاسية التي يتعرض لها الإنسان في حياته غالباً، والتي تلقي بظلالها على الإنسان بكليته، فتلون حياته بألوانها.

ومن هنا نزلت الرسالات السماوية من الله العزيز الرحيم لهذا المخلوق الضعيف، خوفاً من ضياعه وشروده، وتعرضه للعذاب النفسى، قال تعالى: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) الاسراء: 82.

تحرير الضمير والمشاعر الإنسانية من منظور إسلامي

"وفي القرآن شفاء، وفي القرآن رحمة لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، فأشرقت وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روح وطمأنينة وأمان.

وفي القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، فهو يصل القلب بالله، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن، ويرجى فيستروح الرضى من الله، والرضى عن الحياة، والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء، ومن ثم فهو رحمة للعالمين.

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزعات الشيطان... وهي آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب، وتدفع به إلى التحطم، والبلى والانهيار، ومن ثم فهو رحمة للعالمين.

وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير، فهو يعصم العقل من الشطط، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة، ويكفيه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدي، ويأخذه بمنهج سليم مضبوط يجعل نشاطه منتجا ومأموناً ويعصمه من الشطط والزلل، وكذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كبت ولا شطط، فيحفظه سليماً معافى، ويدخر طاقاته للإنتاج المثمر، ومن ثم فهو رحمة للعالمين.

وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها، فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وطمأنينة، ومن ثم فهو رحمة للعالمين" (31).

ومن الآفاق التي ترتقي إليه النفس البشرية بهذا الدين، الشعور بالسلام مع النفس، وعدم دخولها في صراع أو تخبط مع من حولها، ذلك حين تستسلم النفس لكلمات ربها وتعاليم رسوله الكريم، وتشعر بيقين أن الخير كله في أوامر ربها، فتذعن وتتقاد وتسلم لرب العالمين، ومن هنا كان النداء الرباني الرفيق الرفيق الحاني (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، إنه لكم عدو مبين) البقرة 208 .

"كما تستشعر النفس حقيقة السلام إلا حين تستيقن أن الخيرة فيما اختاره الله، وأن الخير في طاعة الله دون محاولة منها أن تجرب ربها، وأن تطلب منه البرهان. إن الإذعان الوثائق والرجاء الهادئ والسعي المطمئن، هي أبواب السلم الذي يدعو الله عباده الذين آمنوا ليدخلوا فيه كافة... فالسلم الحقيقي هو سلم الروح والضمير" (32).

والإنسان ضعيف قاصر جاهل، نظرته قاصرة مهما بدت بعيدة، وعلمه ضئيل مهما تبجح بإنجازاته واكتشافاته، وهو مخلوق صغير أمام هذا الكون الهائل، وبالتالي لا يستطيع أن يحيط

بالحقائق المكتشفة إحاطة كاملة، لأن عمره وقدراته وحجمه وإمكانياته محدودة جداً، ولا تؤهله أن يكتشف أبعاد هذا الكون في أي جانب من جوانبه، وبالتالي فإن الأحداث التي تقع في الأرض يصعب عليه أن يدرك خيرها من شرها إدراكاً كاملاً، ولا يستطيع أن يحيط بنتائجها ومآلها وآثارها وانعكاساتها على محيطه. فالعقل الصريح يأمره أن يسلم لله وأن يرد الأمر كله لله، ومن هنا كانت النفس المؤمنة هي النفس الراضية. وهذا هو مفهوم حديث النبي صلى الله عليه وسلم (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره له كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) (33).

وهذا يؤكد ما ذكرنا سابقاً، أن أي وسيلة أو طريقة سلكها العقلاء أو الخبراء المتخصصون في علم النفس، لم تستطع أن توصل النفس البشرية إلى التحرر من الاضطرابات النفسية والمشاعر السلبية، إلا الإيمان والاستسلام لرب الوجود. الذي ينشأ عنه تحرير للنفس في عدة جوانب مهمة في حياة الإنسان، أهمها:

#### أولاً: تحرير النفس من شبح الخوف على الرزق والأجل

##### أ- الرزق

قال ابن خلدون: "إعلم أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى ما يقوته ويمونه في حالاته وأطواره، من لدن نشوئه إلى أشده، إلى كبره (والله الغني وأنتم الفقراء) سورة محمد: 38. والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان، وامتن به عليه في غير ما آية من كتابه (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه) الجاثية: 13" (34).

ولما كان الرزق ضرورة لا بد منها، وهو قوام الإنسان في حياته، وكان المعاش وطلب الرزق عملية شاقة في الغالب، حرص الإنسان كل الحرص عليه بالضرورة الملحة، وحاول هذا الإنسان بكل حيلة الحصول على هذا الرزق بأسهل الطرق وأقصرها، وحاول معها ضمان معاشه وقوته إلى فترة طويلة.

وهذا أمر فطري مركوز في فطرة الإنسان، ولا يكاد يسلم منه أحد من البشر حتى الأنبياء، فقد كان لإبراهيم عليه السلام زرع ومال، ولشعيب ولغيره، وكان سعيد ابن المسيب يقول: لا خير فيمن لا يطلب المال، يقضي به دينه ويصون به عرضه، ويصل به رحمه، والفقير معدود من الأمراض التي ينبغي الصبر عليها" (35).

وقد ضمن الله سبحانه الرزق لكل دابة وتعهده بتوفير ذلك لها مادام على قيد الحياة (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) هود: 6، (فابتغوا عند الله الرزق) (وفي السماء رزقكم وما



تحرير الضمير والمشاعر الإنسانية من منظور إسلامي

تعودون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون) الذاريات: 22-23، "فتكفل سبحانه بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها، بحرهما وبرها" (36)، وهذا مما أوجبه الله على نفسه بأمر قاطع حاسم، لكنه كما قال الإمام الفخر الرازي: "واجب بحسب الوعد والفضل والإحسان" (37).

وما دام النفس يجري في ابن آدم، وما دامت الروح تسكن جسم الإنسان، فإن الرزق لا يتوقف أبداً، فإذا خرجت الروح إلى بارئها انقطع بانقطاع الحياة، وفي الحديث (... هذا رسول رب العالمين جبريل نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها، وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استنباط الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته) (38).

قال الإمام الغزالي تعليفاً على الحديث: أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإجمال في الطلب ولم يقل أتركوا الطلب (39)، فيجب الأخذ بالأسباب التي تتعلق بالمسببات، ولا يجوز لمؤمن أن يحتج بهذه النصوص على ترك الأخذ بأسباب الرزق والمعاش.

#### ب- تحديد الأجل

وأما الأجل فهو محدد في موعده لا يستأخر لحظة واحدة ولا يستقدم، ولن تموت نفس إلا بأجلها، مهما فعلت من الحذر والاحتياط (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) آل عمران: 145، وهنا جزم بأنه "ليس من شأن النفوس ولا من سنة الله فيها أن تموت بغير إذنه ومشيئته التي تجري بها نظام الحياة وارتباط الأسباب بالمسببات" (40)، وخوف الإنسان من الأجل المحتوم حرص على البقاء في الحياة، والذي هو من طبيعة الإنسان وفطرته، أن يحب البقاء، ويكره الفناء والموت. ولكن "الموت حتم في موعده المقدر، ولا علاقة له بالحرب أو السلم، ولا علاقة له بحصانة المكان الذي يحتمي به الفرد أو قلة حصانته ... إنما العلاقة بين الموت والأجل، بين الموعد الذي قدره الله وحلول ذلك الموعد، وليس هناك علاقة أخرى" (41).

أثر عقيدة الرزق والأجل في تحرير النفس وانطلاقها واستقرارها.

لقد اقتضت حكمة الله تعالى، وسبق ما سطره في اللوح المحفوظ، أن لا يترك قضية الرزق والأجل لأحد من مخلوقاته على الإطلاق، نظراً لأهميتهما البالغة في حياة الإنسان، فكانتا حكرًا على خالق البشر، لا يشاركه فيهما مخلوق البتة. (إن جبريل نفث في روعي أنها لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها).

وهكذا حسم الإسلام مادة الشغب في موضوع الرزق، وبين أن الإنسان ليس له فيه إلا السعي. ففي الوقت الذي يعيش فيه أكثر البشر - في حالة اضطراب وقلق أو هلع أحياناً، وفي حالة جشع وطمع أحياناً أخرى، حتى يدفع البعض منهم إلى ارتكاب أفظع الجرائم، من أجل الحصول على أرزاقهم - يقف المسلم الواثق من إيمانه على أرض صلبة، هاديء النفس، مطمئن القلب، واثق بوعد ربه الذي أخذ على نفس (وفي السماء رزقكم وما توعدون).

وما من قلب سليم -تسكب فيه هذه معاني - إلا اتسع صدره وسكب فيه برد اليقين بوعد الله ورسوله، وراحة في النفس والضمير، وأحالته إلى مخلوق آخر لا يعبأ باستبطاء رزق ولا استعجاله، وحررته من المشاعر السلبية، ومن كل الهواجس والوساوس التي تستولي على أحاسيس الإنسان، حين تقض مضجعه قضية الرزق والأجل.

ومن ثم فإن هذه العقيدة تحيل الإنسان إلى كيان فريد من نوعه، عزيز في نفسه، كريم في بذله، شجاع في قلبه، حر طليق، قد تحررت مشاعره تماماً من سلطان الخوف على الرزق، هذا السلطان الذي طالما أذل أعناق الرجال، واستعبد الطواغيت به الناس، بعد أن قادوهم من شبح أرزاقهم.

ولن يعيش إنسان مرتاح الضمير، مطمئن النفس هاديء البال، حراً طليقاً في مشاعره وقلبه، إلا عندما يؤمن بهذه الحقيقة، إضافة إلى حقيقة الأجل، والتي حسمت أمرها النصوص.

والإيمان بحقيقة الأجل، وتحديد العمر بأجل مسمى، لا يستأخر ساعة ولا يستقدمها، ولا يؤجل لحظة واحدة إذا جاء المكتوب، إيمان يعفي النفس المؤمنة من شبح الموت والخوف على الحياة، الذي يطارد أهل الدنيا ويقض مضاجعهم، ويفلق راحتهم.

وحين يتلو المؤمن قوله تعالى: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) يجزم - كما قال صاحب تفسير المنار - بأنه "ليس من شأن النفوس ولا من سنة الله فيها أن تموت بغير إذنه ومشيتته التي تجري بها نظام الحياة، وارتباط الأسباب والمسببات، وما دام محياناً ومماتناً بيد الله فلا محل للجبن والخوف، ولا عذر في الوهن والضعف" (42)، لأن الجبن والخور ليس من شيم المؤمن، وفي الحديث (...فلو كان عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً) (43). ومن ثم حارب الإسلام كل أنواع الجبن والخوف والهلع التي تستولي على أحاسيس الإنسان في كثير من المواقف، قال تعالى: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) آل عمران: 139، واعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم شر ما يحمله الإنسان في طياته، فقال: (شر ما في رجل شح هالع وجبن خالع) (44).

ومن هنا كانت عقيدة القضاء والقدر هي التي ميزت المسلم في عطاءه ومواقفه في التاريخ الإسلامي، والتي استطاع بها أن يصنع الأعاجيب والمعجزات التي حيرت المؤرخين. ونختم موضوعنا بتلخيص جميل لهذه العقيدة وأثرها للمجاهد عبد الله عزام، وقد ظهر أثرها عليه في حياته واستشهاده، حيث يقول: "هذه العقيدة التي تعتبر المحرك الأصيل للنفس البشرية، والدافع الحقيقي للعمل، وأول ما يطالعنا من نصوص القدر (الرزق والأجل)، فهي نصوص ثابتة محددة، ولا يغادر المرء هذه الأرض قبل أن ينال كل رزقه ويستتفد جميع أجله. فلن يموت إلا بقدر، ولن يستطيع أحد أن ينقص من رزقه قرشاً واحداً مهما علا جاهه وعظم سلطانه (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) الأنعام: 17، وفي الحديث (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) (45). وفي حديث آخر: (يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق) (46). و(إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه) (47).

والأجل المحدد والرزق المحدد - مع العلم القطعي أن الله عز وجل بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله، وله من في السماوات ومن في الأرض، وأنه إليه ترجع الأمور، هذه العقيدة كلها كانت تدفع بالمسلم في أتون المعركة، تاركاً وراءه أهله دون معيل ولا كفيل إلا الله... إن استقرار هذه العقيدة في أعماق النفس يجعلها عزيزة، فلا تذلل، وتقف أمام كل قوى الأرض، لا ترهب سلطاناً، ولا تستخذي صولة الملوك وإغراء الأموال، وهذه العقيدة ترفع صاحبها من أحوال الأرض ومستنقع الطين، فيقف في المرتقى السامي، ينظر إلى الأرض من علو مع التواضع، وبالعزة مع المحبة والتطامن، دون استطالة ولابغي على الناس، يود لو يرفعهم إلى هذا المستوى الذي رفعه الله إليه.

بهذه العقيدة أضحى الرعيل الأول من الصحب الكرام يعيشون بحسبهم وأرواحهم في الآخرة، مع أن أجسادهم تدب على هذه الأرض، يتحركون فوق هذه المعمورة، مع أن أنظارهم مشدودة بقوة إلى الجنة، وإلى الحساب" (48).

ونخلص من ذلك أن الإسلام استطاع أن يحرر أتباعه ونفوسهم من القيود والمشاعر السلبية، حتى صارت لا ترى في الوجود كله فاعلية إلا لله، وعلى هذا وحده يؤول السر الذي يجعل المسلم الصادق في إيمانه يقف أمام الدنيا كلها، ولا يشعر بضعف ولا خور، ولا خذلان، ويقف بجرأة

أمام الطواغيت والظالمين والجلادين، ولا يخشى في كلمة الحق لومة لائم، وفي كثير من الأحيان يواجه الإعدام والتعليق على المشانق بايتسامه الحر في وجه الردى. ونظن أن أكبر عقدة نفسية - تواجه المسلم في الحياة، وتمنعه من طلاقة الحرية والإرادة - هي عقدة "الخوف على الرزق والأجل، فإذا انحلت هذه العقدة، انحلت العقد كلها" (49).

### ثانياً: التحرر من الذل

#### قانون العز والذل

قال تعالى: (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) آل عمران: 26. إن لله قوانين مادية، وسنن اجتماعية في الحياة، لا تتخلف أبداً ما دامت السماوات والأرض (ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً) فاطر: 43. وهذه القوانين بيد خالقها سبحانه، يمسك بها، ويدير بها هذا الوجود، ويسير بها المخلوقات. والتجارب تؤكد أن النفس البشرية لا تتحرر إلا بعد أن تتحرر من الذل، ذلك الشبح المظلم الذي يضغط على النفس الإنسانية ويكبتها، فيقتل فيها جملة من خصائصها الإنسانية وطاقتها البشرية.

والآية القرآنية تشير إلى أن العز والذل بيد الله سبحانه، كبقية السنن الربانية التي يتصرف بها، والمؤمن حين يدرك معنى الآية، وتصبح حقيقة راسخة في نفسه، يكون قد تحرر من كل شيء إلا الله الذي يملك العزة والذلة. "والقرآن يوجهها إلى سبيل العزة التي تحررنا من استعباد المخلوقين، والسبيل هو قوله تعالى: (فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى) الليل: 5-10، والمحسن لا يستطيع أن يذله مخلوق، على الأقل في نفسه ومشاعره. فمن أراد أن يعيش عزيزاً بعيداً عن الذل، واستقام في أمره وعمله وأخلص وصدق فيه وعرف الحق واتبعه (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) يونس: 27. فإذا أتقن عمله وجاء به على الوجه الأحسن لا يستطيع أحد أن يذله، وعاش عزيزاً حراً، ولا تأتي المذلة إلا من التقصير أو الغفلة، التي تورث مذلة لصاحبها، ليضطره الخطأ إلى الندم والاعتذار أمام الآخرين" (50).

وآيات أخرى تشير بوضوح إلى هذا المعنى، كقوله تعالى: (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا، وكذلك نجزي المفترين) الأعراف: 152، وقوله: (ضربت عليهم الذلة

والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير الحق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) البقرة: 61.

والقانون الرباني واضح في هذه النصوص، وأن سبب الذلة هو المعصية والتقصير، والاعتداء على حق الله وحدوده. فعرف السبب والمسبب، كما أنه واضح أن طاعة الله والبعد عن معصيته، وإعطاء كل ذي حق حقه، والقيام بالواجب، والخضوع للحق - مهما كان صعباً على النفس -، هو السبب في تحرير النفس والقلب من عقدة الخوف والرعب الذي يطارد الأذلاء، بل ويلبسهم لباساً، ويدفعون أعمارهم في خدمة الأسياد، ليدفعوا تكاليف الذل مضاعفة، "لأن الذل له ضريبة، كما أن للكرامة ضريبة، وإن ضريبة الذل لأفدح - في كثير من الأحيان - من ضريبة العزة، وإن بعض النفوس الضعيفة ليخيل إليها أن للكرامة ضريبة باهظة لا تطاق، فيختار الذل والمهانة، هرباً من هذه التكاليف الثقيل، فتعيش عيشة تافهة رخيصة، مفزعة قلقاً، تخاف من ظلها، وتفترق من صداها (يحسبون كل صيحة عليهم) المنافقون: 4 (ولتجننهم أحرص الناس على حياة) البقرة: 96، هؤلاء الأذلاء يؤدون ضريبة أفدح من تكاليف الكرامة، إنهم يؤدون ضريبة الذل كاملة، يؤدونها من نفوسهم، ويؤدونها من أقدارهم، ويؤدونها من سمعتهم، ويؤدونها من اطمئنانهم، وكثيراً ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون" (51).

فإذا لبس الإنسان لباس الذل انقلبت حياته من الأمن إلى الخوف والرعب الذي يصيب قلب العاصي، فلا تراه إلا خائفاً مرعوباً، فإن الطاعة حصن الله الأعظم، الذي من دخله كان من الأمنين، ومن خرج منه أحاطت به المخاوف، فلا تجد العاصي إلا وقلبه بين جناحي طائر (52).

### ثالثاً: التحرر من عبادة المال

قال تعالى: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) التوبة: 55.

المال في الإسلام قوام الحياة وزينتها، "وقد عظم الله قدره، وأمر بحفظه، إذ جعله قواماً للآدمي الشريف، فهو شريف، قال تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً) النساء: 5، ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد فقال: (فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) النساء: 6 ... فمن قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا في مقصوده، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة، فبئس المقصود، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم، وقصد التوسعة على الإخوان، وإغناء الفقراء وفعل المصالح، أثيب على قصده، وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات" (53).

والمسلم يسعى في طلب المال بتوازن، فلا يترك السعي لجلب رزق العيال "ولا يتملق البشر ويطلب منهم رزقاً أو كسباً، لأن الله ضمن الرزق والأجل والخلق، لأن عزة الإيمان قعصاء، وأهله شرفاء، والعزة لهم ورؤوسهم دائماً مرتفعة، وأنوفهم دائماً شامخة" (54).

أما الاندفاع والانهماك في الحياة لجمع المال كيفما اتفق، دون مراعاة لحدود ولا لقيود ولا لمشاعر، حتى مشاعر الإنسان نفسه، فليس من شأن المسلم في شيء، بل هي الرأسمالية المادية في أوسع صورها.

وإنه ليلبغ بالمرء - الذي اندفع بميوله نحو المال - أن يستعبده ويستولي المال على مشاعره وأحاسيسه، كما ذكر ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر) (55).

#### رابعاً: التحرر من الشهوات

سبق أن ذكرنا وظيفة الإنسان الأساسية في الأرض، وهي الخلافة بمعناها الشامل الواسع "فمن قصر أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، وخاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى، وقد انفلت من ناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق الذي يصيب كل كائن ينفلت من ناموس الوجود، الذي يربطه ويحفظه، ويكفل له البقاء ... ومن هنا هتف بنا رب الوجود بقوله: (ففرؤا إلى الله) الذاريات: 50، واللفظ يوحي بالأثقال والقيود والأغلال والأوهاق التي تشد النفس البشرية إلى هذه الأرض، وتنقلها عن الإنطلاق، وتحاصرهما وتأسرها، وتدعها في عقل، وبخاصة أوهاق الرزق والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرة للنصيب الموعود، ومن ثم يجيء الهتاف قوياً للإنطلاق والتخلص والفرار إلى الله من هذه الأثقال والقيود" (56). وفي الفرار إلى الله والتخلص من كل هذه القيود والجوانب أعظم تحرير للنفس البشرية، بل هي نقطة الإنطلاق في تحرير النفس. وكل من يدعي الحرية الظاهرة الزائفة، ولم يحرر نفسه من هذه القيود، سيعيش مدى حياته عابداً لنفسه وشهواته وأهوائه، وأحياناً كثيرة عبداً لأهواء الآخرين. وهذا أمر طبيعي "لأن النفس تألف الراحة والكسل والشهوة واللذة والمتعة، وهذه المعاني في كثير من الأحوال تتنافى مع التكاليف، ولذلك كانت الجنة في الطرف المقابل كما في الحديث (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات) (57) "قال الأوحودي في تحفته: بالمكاره أي بما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركاً، وأطلق عليه المكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه، وقال النووي: ومعناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات، ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات، وكذلك هما محبوبتان بهما، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات" (58)، فلا بد من بذل

الجهد للتغلب على هوى النفس حتى ينسجم مع التكليف، وفي الحديث (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) (59). وقال تعالى: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) النازعات: 40-41 (60).

وشهوات النفس أوسع بكثير مما يظنه الجاهل بأنها محصورة في الشهوات الجسدية الظاهرة، قال الغزالي: "إعلم أن الإنسان قد اصطحب في خلقه وتركيبه أربع شوائب، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي (السبعية والبهيمية والشيطانية والريانية)، فهو من حيث سلب عليه الغضب، يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم، ومن حيث سلطت عليه الشهوة، يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره، ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني (قل الروح من أمر ربي) الإسراء: 85، فإنه يدعي لنفسه الربوبية، ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالأمر كلها، والتفرد بالرياسة والانسلال عن رقة العبودية والتواضع، ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها، بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور، ويفرح إذا نسب إلى العلم، ويحزن إذا نسب إلى الجهل، وكذلك يحب الإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق" (61). فكل نوع من هذه الأنواع الأربعة - من الأوصاف والأهواء - بحاجة إلى جهاد كبير لدفعها عن نفسه وعدم السماح لها بأن تستولي على مشاعره وتستعبده. فإذا استطاع قهرها والتغلب عليها تمكن من تحرير نفسه وداخله من سلطانها العاشم.

ولابن قيم الجوزية كلام جميل في استعباد الأهواء والشهوات لأصحابها، وأن محبة غير الله والهيمان في المحبوب لا بد في النهاية من جعله إلهاً يعبد من دون الله. يقول رحمه الله: "فمن لم يكن إلهه مالكة ومولاه، كان إلهه هواه (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم)، ولا يمكن أن يجتمع في القلب حب المحبوب الأعلى وعشق الصور أبدأً، بل هما ضدان لا يلتقيان، بل لا بد أن يخرج أحدهما صاحبه ... وإذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار أن يشرك معه محبة غير الله في محبته، فكيف بالحبيب الأعلى الذي لا تتبغي المحبة إلا له وحده، وكل محبة لغيره فهي عذاب صاحبها ووبال، فليختر العبد إحدى المحبتين، فإنهما لا يجتمعان في القلب ولا يرتفعان منه، بل من أعرض عن محبة الله وذكره والشوق إلى لقائه، ابتلاه بمحبة غيره، فيعذبه بها في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، فإما أن يعذبه بمحبة الأوثان، أو محبة الصليبان، أو المردان، أو محبة النيران، أو محبة النسوان، أو محبة الأثمان، أو محبة العشاء، أو الخلان أو محبة ما دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان، فالإنسان عبد محبوه كائناً من كان" (62).

وحين يستقر التوحيد في قلب المؤمن يمتليء قلبه بمشاعر المحبة والعظمة والإجلال والاستغناء عن من دونه سبحانه. وفي ذلك التحرير الكامل لنفسه وقلبه ومشاعره وعقله وروحه، وصار يخلق بها في جو السماء طليقاً لا تعرف قيوداً ولا حدوداً إلا حدود وقيود خالقها وبارئها، ثم يطلق الكلمة المدوية بين خصومه وأعدائه ( ... قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنتظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) الأعراف: 195-196.

وبهذا يتضح أن تحرير النفس من الداخل، هي الخطوة الأولى والمهمة، التي لا يجوز تجاوزها باتجاه التحرير العام للإنسان، جنس الإنسان، في الأرض كل الأرض، وأن المجتمع مهما بدا للنظر أنه محرر أو مطلق الحرية من العوائق أمام التحضر والرفق، فالناس فيه مكبلون مقيدون أرقاء، ما لم تتحرر نفوسهم وقلوبهم، من القيود والمشاعر السلبية - التي تسلب الإنسان خصائصه البشرية -.

### الخاتمة والنتائج

بعد أن أتم الله بعونه هذه الدراسة المهمة، خرجت بالنتائج والتوصيات التالية:

أولاً: ينظر الإسلام إلى الجانب الشعوري والضمير الإنساني، وما يختص به القلب من علم وإرادة، كخصيصة أساسية تميزه عن بقية المخلوقات المشاهدة على الأرض. فجانب العلم والإرادة الموجهة للمشاعر الإنسانية وبقية البواعث المحركة عند الإنسان، أمور وراء المحسوسات، ولا يشاركه فيها الحيوانات. لأن العلم يختص بمعرفة الأمور الدنيوية والآخروية، والحقائق العقلية، وأما الإرادة فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمور وطريق الصلاح فيه، انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة، وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها.

ثانياً: احتل جانب المشاعر الإنسانية والضمير الإنساني وما يختص به قلب الإنسان من علم وإرادة، الحظ الأوفر والاهتمام الأكبر في هذا الدين .

ثالثاً: يبدأ صلاح الإنسان أو فساده من قلبه ومشاعره، وكل من يحاول إصلاح البشر ويغفل عن هذه البداية، فإنما يحاول عبثاً ومحالاً.

رابعاً: سبب تهديد الحضارة المادية بالانهيار، هو إغفال الجانب الشعوري والنفسي عند الإنسان، وهذا السبب يلاحظ من خلال إدراكنا لخطورة هذا الجانب في بناء النفس الإنسانية.

خامساً: الإسلام والاستسلام لخالق الوجود، ومعرفته بصفاته وأسمائه، هو الحل الوحيد لتربية الضمير الإنساني، والمحافظة على القيم والمشاعر الإنسانية، وكل الخصائص البشرية الأساسية.



تحرير الضمير والمشاعر الإنسانية من منظور إسلامي

سادساً: الاستسلام لله وحده هو الطريق الوحيد للحرية الإنسانية الكاملة، والتحرر من القيود والمشاعر السلبية ، التي تسلب الإنسان حريته وإرادته وتهدده بتدمير طاقاته.  
سابعاً: الإنسان خلق للعبادة، فإما أن يكون عبداً للخالق وإما أن يكون عبداً للمخلوقين، وليس هناك ثالث ثلاثة.

ثامناً: هذا الدين بقواعده وأحكامه، يسير بالفرد نحو التحرر الكامل ظاهراً وباطناً، ويرفع عنه الإكراه، ولا يقبل إيذائه مطلقاً والمساس بإرادته الحرة واختياره، حتى في حالة التهمة بالجريمة، ولو دلت عليها قرينة مرجحة. ما لم تثبت باليقين. (63)

#### التوصيات

أولاً: لا زال غير المسلمين يجهلون حقيقة الإسلام، ولا بد من بذل مزيد من الجهود في الدعوة، ليدركوا أن هذا الدين جاء لتحريرهم من العبودية، ويحافظ على خصائصهم البشرية، وليس لتقييدهم وسلب إرادتهم وحرياتهم، كما يظنون.

ثانياً: هناك جهل لدى كثير من المسلمين، حتى عند بعض الدعاة من الحركات الإسلامية، حين يبدؤون بتربية الأفراد تربية فكرية ذهنية محضة، بعيداً عن التربية الروحية والشعورية والنفسية، وبالتالي يخرج جيل قواعده وأصوله وأعمدته هشة، تنهار عند أول موجة من الابتلاءات والفتن.

فإنبغى الحذر من السير في هذا المضمار، والذي يخالف طريقة القرآن والسنة حين أنشأ جيل الصحابة.

## الهوامش والحواشي

- (1) ابن منظور، الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (لسان العرب ج4/492)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى 1990م.
- والزيدي الحنفي، الإمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس ج7 (باب الرء ) / 130 ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1994م -1414هـ .
- (2) الفيومي ، العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ ،ت 770هـ ، ( المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي )ج/430 ، بيروت ، دار الكتب العلمية 1398هـ -1978م .
- (3) الصويغ ، د. عبد العزيز حسين ، صحيفة المدينة ، العدد 18275 ، الإثنين بتاريخ 5/6/2013م - 1434/6/26هـ. تحت عنوان (النوم والضمير ) .
- (4) معجم المعاني الجامع/ معنى الضمير ومفهومه [www.almaany.com](http://www.almaany.com)
- (5) لسان العرب ج4/413 ، وتاج العروس ج7/33 .
- (6) ومن الأمثلة على المشاعر الإنسانية (قبول ، محبة ، عدوان ، ازدواجية ، فتور ، قلق ، ملل ، شفقة ، تشويش ، احتقار ، اكتئاب ، شك ، نشوة ، تعاطف ، حسد ، إخراج ، غبطة ، مغفرة ، إحباط ، امتنان ، حزن ، ذنب ، كراهية ، أمل ، رعب ، عداوة ، حنين إلى الوطن ، جوع ، هستيريا ، اهتمام ، شعور بالوحدة ، ذعر ، سرور ، فخر ، غضب ، أسف ، ندم ، خزي ، معاناة ، دلع، رغبة) الموسوعة الحرة ، ويكيبيديا [ar.wikipedia.org/wiki/مشاعر](http://ar.wikipedia.org/wiki/مشاعر)
- (7) ي . إ . كولتشييسكايا، (تربية مشاعر الأطفال في الأسرة ( ص 5 ، 22 )، الطبعة الأولى ، ترجمة د. عبد المطلب أبو سيف و د. ماجد علاء الدين ، نشر : دار علاء الدين - دمشق - ، سنة 1997م .
- (8) مجلة ( الحوار المتمدن ) العدد 3684 بتاريخ 31-3-2012م ، بعنوان "في فلسفة المشاعر الإنسانية"، محور ( الفلسفة ، علم النفس ، وعلم الاجتماع ) ، كرم ، محمود [www.ahewar.org](http://www.ahewar.org)
- (9) نعني بالمشاعر هنا: هي المشاعر التي يشرف عليها قلب الإنسان الذي اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوان، فهي مشاعر إنسانية موجهة بعلم وإرادة، إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضاً، حتى إن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه، فذلك هو الإدراك الباطن، فنعني هنا بالمشاعر الموجهة بما يختص به قلب الإنسان، ولأجله عظم شرفه

تحرير الضمير والمشاعر الإنسانية من منظور إسلامي

واستأهل القرب من الله تعالى، وهو راجع إلى علم وإرادة مستقر في القلب. أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والآخروية والحقائق العقلية، فإن هذه أمور وراء المحسوسات، ولا يشاركه فيها الحيوانات، وأما الإرادة فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمور وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة، وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها، وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات المطلقة، التي خلق الله فيها البواعث المحركة للأعضاء والشهوات والغرائز، ولم يخلق فيها العقل المعروف بعواقب الأمور. انظر/ الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (إحياء علوم الدين ج3/ 8، 9، 13) بتصرف، وبذيله كتاب (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار) للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت 806هـ، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى.

ونعني بتحرير البشر وتحرير مشاعرهم: تحريرهم من القيود والمشاعر السلبية، التي تسلب الإنسان حريته وإرادته، وتحافظ على خصائصه البشرية، وتحميه من تدمير طاقاته النفسية. (10) صدر كتاب عن دار الفكر في دمشق للدكتور. ياسر العتيبي، بعوان (الحرية العاطفية، كيف تتحرر من المشاعر السلبية، وتعيش الحياة التي تريد)، ويرى الكاتب بأن الحرية هي أثنى ما يملكه الإنسان، وهي حرية داخلية وخارجية، والداخلية منهما أهم لأنها تحرره من الداخل والخارج معاً، ويتحدث الكاتب بعد المقدمة عن ثلاث نقاط جوهرية للوصول إلى التحرر النفسي الذاتي للعيش في حياة عاطفية حرة تماماً:

الأولى: التحرر من خلال معرفة الذات، وذلك عن طريق فهم الإنسان نفسه بتحديد نمطه العاطفي العقلاني أو المتعاطف أو المتحفظ أو المنطلق.

الثانية: التحرر من خلال معرفة الآخر، وقد بين فيها المؤلف كيف يحمي المرء نفسه من التأثير السلبي من أنماط الشخص النرجسي أو الضحية أو المتحكم أو المنتقد أو المتشتت.

الثالثة: توقف فيها المؤلف عند خطوات أربع للحرية العاطفية. 1- إدراك الشعور 2- تقبله 3- التأكد من رسالة الشعور 4- القرار بأن يقوم الإنسان بعمل ما أو ألا يفعل شيئاً.

وتحدث الكاتب عن القيود الداخلية التي تسلب الإنسان حريته، وهي قيود اختيارية فرضتها العادات والعقلية الشعورية السلبية، لينتهي به الأمر إلى تدمير طاقاته. راجع رابط الموقع:

[www.bna.bh/porta1/news/471947](http://www.bna.bh/porta1/news/471947)

(11) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (الجامع الصحيح المختصر 1/28) تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة 1407هـ - 1987م.

- (12) الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (إحياء علوم الدين ج3/8، 13) بتصرف.
- (13) ي. إ. كولتشيكايا، (تربية مشاعر الأطفال في الأسرة) ص 5 ، ترجمة د. عبد اللطيف أبو سيف. منشورات دار علاء الدين .ط1. دمشق 1997م.
- (14) موسوعة الذخائر العظام ج12/1 للشهيد عبد الله عزام، الطبعة الأولى 1997م مركز الشهيد عزام الإعلامي.
- (15) حرية الفرد والجماعة في الإسلام، د. عبد الستار قاسم ص 118، دار المستقبل، الخليل - فلسطين، الطبعة الأولى 1998م.
- (16) وطرق الإيمان وسبل الوصول إلى الله سبحانه متعددة، فإما أن يصل إليه البعض بالعقل والفكر، وإما أن يصل إليه آخرون بالعاطفة، وإما بالوراثة، وآخرون يصلون بالعاطفة والفكر) راجع كتاب (الثقافة الإسلامية ص 145) مقرر جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الثالثة 2007م عمان.
- (17) الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام ص 19-20 ط1 المكتب الإسلامي بيروت، وعمان، د. يوسف القرضاوي 2007م، ويشير إلى قوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات يذكر فيها اسم الله كثيرا ...) الحج: 40. والدولة الإسلامية ملتزمة بالدفاع عن دورعباد اليهود والنصارى إذا كانوا تحت حكم المسلمين كأهل ذمة ، ويلتزمون بدفع الجزية .
- (18) حقوق الإنسان، عبد المنعم حسين العمري، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط الأولى 2006م.
- (19) ومن هنا كان استبعاده من عنوان البحث أصلاً، واقتصر على الضمير والمشاعر الإنسانية ودور الإسلام في تحريرها.
- (20) السبب الأول هو ما ذكرناه سابقاً من أن طبيعة النفس الإنسانية وأفعالها الظاهرية تتأثر كلها بمشاعرها النفسية الداخلية، ومن ثم احترم الإسلام عقله ورأيه وتوجهاته ومشاعره.
- (21) قطب، سيد، في ظلال القرآن 224/1 بتصرف، دار الشروق، الطبعة الرابعة والثلاثون 2004م.
- (22) إن الإنسان يكرم من حيث هو إنسان، فالإنسان من حيث آدميته مكرم في هذا الدين (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) الإسراء: 70 فأسبغ الله على الإنسان نعمه ظاهرة وباطنة، وجعله خليفة في الأرض، فالإنسان هو زبدة هذا الوجود، وهو الذي كرمه الله عزوجل بغض النظر عن لون

تحرير الضمير والمشاعر الإنسانية من منظور إسلامي

عينيه أو نعومة شعره أو جعودته، أو كون لونه أبيض أو أسود أو شكل أنفه كيف هو، فالإنسان مكرم عند الله من حيث هو إنسان، بغض النظر عن لونه أو عرقه أو طبقته، بل عن دينه. روى الشيخان في صحيحيهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام واقفاً فقالوا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، قالوا ذلك متعجبين من قيامه واحترامه لها وهي ليست لمسلم، فقال: أليست نفساً؟! رواه البخاري 1312 ومسلم 961، انظر (مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم 58/3، الناشر: دار الجيل بيروت ودار الآفاق الجديدة بيروت) و (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي 269/1).

يعني أليست نفساً بشرية؟! فما أروع الموقف، وما أروع التعليق!! انظر (الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام ص 70-71 د. يوسف القرضاوي. ولكن هذا الإنسان المكرم يهوي إلى أسفل سافلين عندما يكفر بالله ويتعدى على حدوده قال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فلهم أجر غير ممنون) التين: 4-6.

(23) حرية الفرد والجماعة في الإسلام ص 120 - 121، بتصرف د. عبد الستار قاسم.  
(24) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، مقدمة ابن خلدون ص 17 دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.

(25) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين، بإشراف د. صالح بن عبد الله بن حميد و د. عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، ج4/1138. دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

(26) في ظلال القرآن ج1/60-61 بتصرف.

(27) في ظلال القرآن ج6/3387-3388.

(28) حوى، سعيد، جند الله ثقافة وأخلاقاً، ص 203، دار الكتب العلمية، بيروت.

(29) في التربية الجهادية والبناء ج1/303-304 للشهيد عبد الله عزام. ط1 من منشورات مركز الشهيد عزام الإعلامي - باكستان.

(30) تربية مشاعر الأطفال في الأسرة ص 11-12.

هانس سيليه : هو مؤسس نظرية الاضطراب النفسي، (وهو عالم وباحث كندي، وكان أول من تحدث عن الضغط النفسي المنخفض والضغط النفسي العالي، في دراسة حول سلوك الأفراد

في مواجهة المثيرات والضغط الخارجية ، حيث قسم سيليه سلوك الفرد - إزاء الضغوط

الخارجية- إلى ثلاث مراحل ( <http://www.syriapath.com> )

(31) في ظلال القرآن ج4/2248.

(32) المصدر السابق ج1/ 224 .

(33) رواه مسلم، انظر (الألباني، ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب 179/3، نشر مكتبة

المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.

(34) ثم بين ابن خلدون وجوه المعاش وأصنافه بأسلوب الخبير في علم الاجتماع فقال رحمه الله:

والمعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله، وهو مفعول من العيش، كأنه لما كان

العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذا جعلت موضعاً له على طريق المبالغة. ثم إن تحصيل

الرزق وكسبه: إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاعتدال عليه، على قانون متعارف،

ويسمى مغرماً وجباية، وإما أن يكون من الحيوان الوحشي باقتناصه وأخذه برمييه من البر أو

البحر، ويسمى اصطياً وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرف بين

الناس في منافعهم، كاللبن من الأنعام، والحريز من دوده، والعسل من نحله، أو يكون من النبات

في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته، ويسمى هذا كله فلحاً (أو فلاحاً)، وإما

أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية: إما في مواد بعينها، وتسمى الصنائع من كتابة وتجارة

وخياطة وحياكة وفروسية وأمثال ذلك، أو في مواد غير معينة، وهي جميع الامتيازات

والتصرفات، وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها لأعواض، إما بالتقلب بها في البلاد،

أو احتكارها وارتقاب حوالة الأسواق فيها، ويسمى هذا تجارة. فهذه وجوه المعاش وأصنافه. مقدمة

ابن خلدون ص 300-302.

(35) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص 182.

(36) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774هـ، متضمنة

تحقيقات الشيخ ناصر الدين الألباني، وخرج أحاديثه مجموعة من العلماء، القاهرة، مكتبة الصفا

الطبعة الأولى 2002م، تفسير القرآن العظيم ج4/178 لابن كثير.

(37) الرازي، الإمام الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج17/186، بيروت، دار إحياء التراث العربي،

الطبعة الثالثة.

- (38) المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام (ت 975هـ)، كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال ج4/24، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1401هـ - 1981م.
- (39) إحياء علوم الدين ج2/57.
- (40) رضا، الإمام محمد رشيد رضا ت 1935م، تفسير القرآن الحكيم، المشهور بـ (تفسير المنار) ج4/136، بيروت، دار الكتب العلمية.
- (41) في ظلال القرآن ج2/716.
- (42) تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا ج4/136.
- (43) الحميدي، محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين (البخاري ومسلم) 3/279، تحقيق: علي حسين البواب، لبنان، بيروت، دار ابن حزم ط2. وانظر فتح الباري 6/3148.
- (44) حنبل، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل 2/302، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وقال: إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح، الناشر: مؤسسة قرطبة، القاهرة. وانظر (السلسلة الصحيحة 2/103) الألباني، محمد ناصر الدين، وقال: الحديث صحيح، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.
- (45) عزام، الشهيد عبد الله عزام، موسوعة الذخائر العظام ج1/10 باكستان، مركز الشهيد عزام الإعلامي، الطبعة الأولى، 1997م. والحديث أخرجه الترمذي الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي 4/667، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، وهو حسن صحيح، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، وقال الألباني: الحديث صحيح، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. وانظر (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحنبلي، أبو فرج عبد الرحمن بن أحمد 1/183، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ.
- (46) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر 5/1953)، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، نشر: دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة 1407هـ - 1987م.
- (47) قال الألباني: حديث صحيح رجاله ثقات، والحديث رواه أبو الدرداء مرفوعاً، الألباني، محمد ناصر الدين (ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم 1/93)، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، 1413هـ - 1993م.
- (48) موسوعة الذخائر العظام ج1/10.

- (49) في خضم المعركة ص 202 للشهيد عبد الله عزلم، باكستان، مركز الشهيد عزلم الإعلامي، ط 1 1993م.
- (50) خصائص النفس البشرية (قانون العز والذل) للنايلسي، موقع النايلسي.
- (51) دراسات إسلامية، من فصل (ضريبة الذل) سيد قطب ط دار الشروق.
- (52) ابن قيم الجوزية، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ت 751. الداء والدواء (الجواب الشافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص 87. تقديم: الشيخ أبي عمير مجدي بن عرفات المصري الأثري، تحقيق: أبي عاصم سيد بن محمود آل سليم، القاهرة، مكتبة مصر، الطبعة الأولى 2011م.
- (53) ابن الجوزي، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي ت 597هـ، تلبيس إبليس ص 178، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (54) القرني، عائض بن عبد الله القرني، لا تحزن ص 210، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، 1999م.
- (55) ابن الجوزي، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي ت 597هـ، (صيد الخاطر ص 481)، تحقيق وتعليق: عامر بن علي ياسين، الرياض، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.
- (56) قطب، سيد، في ظلال القرآن ج 6/3386 - 3387.
- (57) حوى، سعيد، جند الله ثقافة وأخلاقاً ص 318، دار الكتب العلمية، بيروت. والحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، الحميدي، محمد بن فتوح، (الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم 160/3) تحقيق: د. علي حسين البواب، نشر، دار ابن حزم - الطبعة الثانية، بيروت 1423هـ-2002م.
- (58) المبارك فوري أبو العلا، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم. (تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي 236/7)، نشر، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (59) التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، مشكاة المصابيح 36/1، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وقال: قال النووي في الأربعين: هذا حديث صحيح رواه في كتاب الحجة بإسناد صحيح، إلا أن الألباني حكم عليه بضعف الإسناد. وانظر (جامع العلوم والحكم)، لأبي الفرج عبد الرحمن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ..
- (60) حوى، سعيد، جند الله ثقافة وأخلاقاً ص 318، دار الكتب العلمية، بيروت.



(61) إحياء علوم الدين للغزالي ج3/11.

(62) الداء والدواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) ص 188 لابن قيم الجوزية.

(63) راجع هذه المسألة بإسهاب، بحث تحت عنوان (حكم تعذيب المتهم للإقرار بالتهمة، دراسة فقهية مقارنة في المذاهب الأربعة) د. مازن مصباح صباح، د. نعيم سمارة المصري، بحث نشرته مجلة الجامعة الإسلامية - غزة، سلسلة الدراسات الإسلامية المجلد التاسع عشر، العدد الأول ص 540-553، محرم 1432هـ -يناير 2011م.

### فهرس المراجع والمصادر

- 1- ابن الجوزي، الحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي ت 597هـ، تلبس إبليس ، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1368هـ.
- 2- ابن الجوزي، الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي ت 597هـ، (صيد الخاطر)، تحقيق وتعليق: عامر بن علي ياسين، الرياض، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.
- 3- ابن حميد، صالح بن عبدالله وآخرون، (نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم) ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.
- 4- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، (مقدمة ابن خلدون ) ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.
- 5- ابن رجب الحنبلي، أبو فرج عبد الرحمن بن أحمد، (جامع العلوم والحكم)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ.
- 6- ابن قيم الجوزية، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ت 751. الداء والدواء (الجواب الشافي لمن سأل عن الدواء الشافي). تقديم: الشيخ أبي عمير مجدي بن عرفات المصري الأثري، تحقيق: أبي عاصم سيد بن محمود آل سليم، القاهرة، مكتبة مصر، الطبعة الأولى 2011م.
- 7- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774هـ، ( تفسير القرآن العظيم)، متضمنة تحقيقات الشيخ ناصر الدين الألباني، وخرج أحاديثه مجموعة من العلماء، القاهرة، مكتبة الصفا الطبعة الأولى 2002م.
- 8- ابن منظور، الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (لسان العرب ج4/492)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى 1990م.

- 9- الألباني، محمد ناصر الدين، (السلسلة الصحيحة)، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.
- 10- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، نشر مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.
- 11- الألباني، محمد ناصر الدين (ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم)، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، 1413 هـ - 1993 م.
- 12- البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (الجامع الصحيح المختصر) تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة 1407 هـ.
- 13- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، نشر: دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة 1407 هـ - 1987 م.
- 14- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، (مشكاة المصابيح)، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة 1405 هـ - 1985 م.
- 15- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، (الجامع الصحيح سنن الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، والأحاديث مذيلة بتعليق الألباني عليها، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 16- جامعة القدس المفتوحة، (الثقافة الإسلامية) مقرر جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الثالثة 2007 م.
- 17- الحميدي، محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين (البخاري ومسلم)، تحقيق: علي حسين البواب، لبنان، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الثانية.
- 18- حنبل، الإمام أحمد، (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- 19- حوى، سعيد، جند الله ثقافة وأخلاقاً، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 20- الرازي، الإمام الفخر الرازي، (التفسير الكبير)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.
- 21- رضا، الإمام محمد رشيد رضا ت 1935 م، (تفسير القرآن الحكيم)، المشهور بـ (تفسير المنار)، بيروت، دار الكتب العلمية.

- 22- الزبيدي الحنفي، الإمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج7 (باب الرءاء) / 130 ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1994م -1414هـ .
- 23- عزام، عبدالله، (موسوعة الذخائر العظام في ما أثر عن الشهيد عزام )، باكستان ، مركز الشهيد عزام الإعلامي ، الطبعة الأولى 1997م ، .
- 24- عزام، عبد الله ، (في التربية الجهادية والبناء )، باكستان، مركز الشهيد عزام الإعلامي، ط1.
- 25- عزام، عبد الله ، (في خضم المعركة)، باكستان، مركز الشهيد عزام الإعلامي، ط1 1993م.
- 26- العمري، عبد المنعم حسين، (حقوق الإنسان )، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط1 2006م.
- 27- الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (إحياء علوم الدين) بتصريف، وبذيله كتاب (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار) للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت 806هـ ، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى.
- 28- الفيومي ، العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري ،ت 770هـ ، ( المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي )ج/430 ، بيروت ، دار الكتب العلمية 1398هـ -1978م.
- 29- قاسم، عبد الستار، (حرية الفرد والجماعة في الإسلام)، دار المستقبل، الخليل - فلسطين، الطبعة الأولى 1998م.
- 30- القرضاوي، د. يوسف، (الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام )، ط1 ، المكتب الإسلامي بيروت، وعمان.
- 31- القرني، عائض بن عبد الله القرني، (لا تحزن )، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، 1999م.
- 32- قطب، سيد، (في ظلال القرآن) ، بتصريف، دار الشروق، الطبعة الرابعة والثلاثون 2004م.
- 33- قطب، سيد، (دراسات إسلامية، من فصل (ضريبة الذل))، بيروت، دار الشروق.
- 34- كولتشيكايا، ي . إ . كولتشيكايا، (الأطفال في الأسرة) ، ترجمة د. عبد اللطيف أبو سيف. منشورات دار علاء الدين .ط1.دمشق1997م.
- 35- المبارك فوري أبو العلا، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم. (تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي)، نشر، دار الكتب العلمية - بيروت.

36- المنقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام (ت 975هـ)، (كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال)، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1401هـ - 1981م.

37- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (صحيح مسلم)، الناشر: دار الجيل، بيروت، ودار الآفاق الجديدة، بيروت.

38- ي. إ. كولتشييتسكايا، (تربية مشاعر الأطفال في الأسرة) (ص 5، 22)، الطبعة الأولى، ترجمة د. عبد المطلب أبو سيف و د. ماجد علاء الدين، نشر: دار علاء الدين - دمشق، - سنة 1997م.

#### مراجع الإنترنت

1- الحرية العاطفية، كيف تتحرر من المشاعر السلبية، وتعيش الحياة التي تريد. أنظر الموقع:

[www.bna.bh/porta1/news/471947](http://www.bna.bh/porta1/news/471947)

2- النابلسي، د. محمد راتب. خصائص النفس البشرية (قانون العز والذل).

<http://islam.alnaddy.com/article/433947>

3- معجم المعاني الجامع / معنى الضمير ومفهومه [www.almaany.com](http://www.almaany.com)

4- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)

[ar.wikipedia.org/wiki/مشاعر](http://ar.wikipedia.org/wiki/مشاعر)

#### الدوريات والمجلات العلمية

1- صباح وآخرون، د. مازن مصباح صباح و د. نعيم سمارة المصري، حكم تعذيب المتهم للإقرار بالتهمة، دراسة فقهية مقارنة في المذاهب الأربعة، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع عشر، العدد الأول، صفحة 533، محرم 1432هـ - يناير 2011م.

2- الصويغ، د. عبد العزيز حسين، النوم والضمير، صحيفة المدينة، العدد 18275، الإثنين بتاريخ 5/6/2013م - 1434/6/26هـ.

3- كرم، محمود كرم، في فلسفة المشاعر الإنسانية، مجلة الحوار المتمدن، العدد 3684، 2012/3/31م.